

# الإتجاه السياسي في شعر نزار قباني

طالب الدكتوراه أحمد عنبري

a.anbari1961@gmail.com

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آزاد الإسلامية - فرع آبادان - إيران

الدكتور صادق إبراهيمي كاوري ( الكاتب المسؤول)

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آزاد الإسلامية فرع آبادان - إيران

الدكتورة سهاد جادري

أستاذة مساعدة بجامعة آزاد الإسلامية فرع آبادان قسم اللغة العربية وآدابها- إيران

sohadjaderi@yahoo.com

## The political trend in the poetry of Nizar Kabbani

ahmad anbari

PhD student at Azad Islamic University , Abadan Branch , Department of  
Arabic Language and Literature , Iran

Dr.sadegh ebrahemi kawari ( Responsible writer

Department of Arabic Language , Abadan branch , Islamic Azad University,  
Abadan , Iran

Dr.sohadjaderi

Department of Arabic Language , Abadan branch , Islamic Azad University,  
Abadan , Iran

**Abstract:**

This brief study is called the political direction in the poems of Nizar Qabbani. In order to define it, this research relied on the descriptive-analytical approach in addition to the critical approach that expresses Nizar the political position defending the principles of Arab nationalism in its entirety through the tragedy of Palestine after the setback and what happened And Cajun on the one hand, and the importance and necessity of working on a good project around the study.

Nizar Al-Siyasi, who spread the roots of resistance and steadfastness for generations and sent an echo of the people's ongoing struggle to stand before the mighty, oppressive and mercenary rulers, on the other hand. So, scholars in the field of political literature must submit a recent study to show Nizar Nidal's poetry to bring out the new that was and is still hidden for various reasons.

**Key words** : Nizar Qabbani , the political trend , patriotism , poetry .

**المُلخَص :**

هذه الدراسة الوجيزة تسمي، الإتجاه السياسي في أشعار نزار قباني و من أجل تحديدها إعتد هذا البحث علي المنهج الوصفي- التحليلي إضافة إلي المنهج الأنتقادي الذي يعبر عن موقف نزار السياسي المدافع عن مبادئ الوطنية العربية بأكملها من خلال مأساة فلسطين بعد النكسة و ما تحمّلت من آلام و شجون من ناحيه و أهمية و ضرورة العمل لمشروع جيد حول الدراسة.

شعر نزار السياسي الذي نشر جذور المقاومة و الصمود للأجيال و بعث صدي النضال الشعبي المتواصل للوقوف أمام الجبابره و الحكام الجائرة و المرتزقة من ناحية أخرى. فيجب علي الدراسين في مجال الأدب السياسي أن يقدموا بدراسة حديثة لتبيين شعر نزار النضالي ليخرج منه الجديد الذي كان و مازال مخفياً لأسباب شتى.

**الكلمات المفتاحية** : نزار قباني - الإتجاه

السياسي - الوطنية - الشعر .

## المقدمة

لابدّ من التنويه إلي وجود بعض الدراسات حول الإتجاه السياسي للشاعر نزار قباني و عدد غفير من المقالات هنا وهناك في الدوريات الأدبية و باللغات المختلفة سيما الفارسية بعد العربية و حتي بنفس اللغة العربية في جمهورية ايران الإسلامية ولكن مايقدمه هذا المقال الوجيز هو التأكيد بشعر المقاومة الذي جاء به نزار قباني في منتصف عمره الأدبي و بعد النكسة الذي كان دفاعاً قيماً عن مبادئ الحرية و مواكبة الشعب الفلسطيني المغصوب و هجوماً شاملاً علي العدو الصهيوني الغاصب، المحتل و تنوير الأفكار و حث الأجيال الثورية ضد التيار الظالم و ارداً علي الذين رفضوا الشاعر المعني كشاعر يدافع عن شعبه بأكمله من خلال قصائده الرنانة و مفرداته الجياشة لأنهم إتهموه و مازالوا بشاعر المرأة و ما يحوم من حولها و لم يجعلوه في ميزان العدالة بهيكل أديب مناضل حر إلي الذي قام بدوره مدافعاً شهماً و فارساً شجاعاً عندما اعترف اكثر من مرة يحوله من شاعر يكتب شعر الحب و الحنين لشاعر يكتب بالسكين.

و يقول نزار عن هذا التحول: «لم يبق حزيران للشاعر سوي حصان واحدي هو الغضب ... ولكن أين يبدأ حدود هذا الغضب و أين ينتهي صعب علي كثير أن أرسم حدود غضبي.» (قباني، ١٩٧٠م، ٤١٨ و ٤١٩) و حتي لا تتكرر مشكلة تواصل الأجيال و التأثير و توارث السليبات و الأخطاء.. يوصي الجيل القادم قائلاً: (قباني، ١٩٩٩م، ٤٩٧)

لا تقرأوا أخبارنا

لا تقتفوا آثارنا

لا تقبلوا أفكارنا

فنحن جيلُ القئ و الزهري و السعال

و نحنُ جيلُ الدجل و الرقص على الحبال

فهؤلاء المعاندين من الشعراء لشعر نزار السياسي، لم يبلغوا شيئاً من الذي بلغه نزار من الشهرة و الذيوع كما أنهم قد يتضائلون فنياً أمام المستوي الفني و الشعري لنزار قباني.

و أمّا، ما مكتبه نزار من قصاصات في الوطن فيحري أن نفرّق بين الوطنية و المواطنة لأن الوطنية، هي الشعور الوطني أما المواطنة فهي الشعور بالسكن و الإقامة و ما كتبه

نزار، هو نوع من المواطنة من حيث الحديث عن البلد و الوطن و التغزل في ربوعه و سمائه و نجومه و نسيمه و .... فهذا يختلف عن الشاعر المسكون بهوم الوطن و آماله و آلامه.

و رغم القول الشهير بأن جذور المد الشعري الوطني عند نزار بدأت منذ اوائل الخمسينات أي قبل النكسة بحوالي ١٣ عاماً إلّا أن النكسة تظلّ هي المحرك الأوّل لشعر نزار السياسي و هي الحدث الأكبر الذي هزّ أعماقه هزاً و أفرزه شاعراً من نوع آخر خرج بوتقة الحنّ و انصهر مع نار الولايات التي أعقبت ١٩٦٧م. و قد كانت النكسة محطة هامة علي طريق الشعر في حياة نزار و نقطة حدث كبري التي حولته من النقيض إلي النقيض من شاعر النساء و العطور و لابسات التنانير المزركشة إلي شاعر الرصاص و الألغام ... من شاعر الحب لشاعر السكين الذي يغرسها في الجلد و اللحم و العظام و يلخص الشاعر القضية بأكملها في جملة قصيرة ولكن جامعة مانعة تعبّر عن الكثير و اعتبرها فصل الخطاب في الهزيمة و هي روح العناد و جعل العناد هو سبب كل المعاناة و الحنّ التي يعيشها الإنسان العربي فعندما دخلنا عصر الحداثة و الحضارة، دخلناها بهمجية جاهلية فوضوية مليئة بكل عوامل النقض و روح العناد ... لأنّه بالنائي و المزمّار لا يمكن أن يحدث أي نجاح و انتصار و هكذا يقترب نزار من الحقيقة حتي يبرز اتجاهه الثوري و حمل السلاح بأنّه لايفل الحديد إلّا الحديد و يصل إلي درجة كبيرة من الإتقان بأنّ البندقية و المسدس هي السلاح الذي تعرضه طبيعة المرحلة و المنطقة.

في زمن السنابل المسلّحة

و العصافير المسلّحة

و الديانة المسلّحة

فلا رغيّف اشتريه

إلا واحداً في داخله مسدساً

(قباني، ١٩٩٩م، ١١٦)

### الإتجاه السياسي في شعر نزار قباني

القول بعدم اكتراث نزار قباني بالهموم الوطنية و القضايا السياسية منذ ولادته كشاعر، حتي عام النكسة، طبعاً هو قول عام و قد يكون فيه، بعض التعسّف و الظلم، للشاعر و ذلك قبل الدخول و البحث في بطون دواوينه و الوقوف في حقيقة الأمر.

و عندما نَمَعْن النظر في ديوان نزار الأول «قالت لي السمراء» و الذي يشتمل علي ثمان و عشرين قصيدة لم يتعرض قط في أي منها لذكر ما كان يجري في سورية أو في باقي أرجاء الوطن العربي من ثورات و مظاهرات ضد المحتل، مع أنه يعترف بأن الشعر، قد جاء في زمن الحرب. (قباني، ١٩٧٠م، ٢٤٧)

و مع كل هذا ذكر نزار الوطن في غير موضع من ديوانه هذا، ففي تقديمه شعره للقارئ يشير في قصيدته بعنوان «ورقة إلي القاريء»: (قباني، ١٩٨٩م، ٢٧)

أنا لبلادي ... لنجماتها

لغيماتها ... للشذي ... للندي

سفحت قوارير لوني نهوراً

علي وطني الأخضر المفتدي

ايضاً و في قصيدة أخرى تحت عنوان «اسمها» يقول في وصف ذلك الأسم:

كقطيع من المواويل ... حطت

في ذري موطني الأنيق الأنيق

اسمها ... ركضة التبيذ بأعصابي

و زحف السرور طي عروقي

و في قصيدة أخرى تحت عنوان: «مساء» (المصدر نفسه، ٨٨)

قفي ... و أنظري ما أحب ذرانا

و أسخي أناملها الواهية

مواويل تلمس علي الأنجم الغاربة

و أيضاً بقصيدة أخرى بعنوان «إلي مصطفىة» (المصدر نفسه، ١٠٣)

لأغزل غيم بلادي شريطاً

يلف جدائلك الراحدة

لأغسل رجلك يا طفلي

بماء ينابيعها الباردة.

و قد ذكر نزار الوطن في سبع و ثلاثين قصيدة في أربعة مواضع من قصائده: عندنا، إلي عينين شماليتين، القميص الأبيض و عودة التنور المزركشة، دون ما يحمل هذا، أية

دلالة سياسييه أو مضمون وطني، بل جاء متساوياً مع سياق تلك القصائد الغزليه.  
(قباني، ١٩٥٦م، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣١٥)

إن مأساة فلسطين و مشاهدها مازالت تلح علي ضمير الشاعر حتي خرجت في نهاية الأمر، بعد سبع سنوات من وقوع الكارثة، لتعلن المد السياسي و صداها في أشعار نزار، نشير إلي بعض اهتمامات الشاعر التي قد تشكل بعد ذلك موقفاً يميز القصيدة السياسية النزارية و علي سبيل المثال، اهتمامه بالنشء الصغار، بمستقبل الشعب: (قباني، ١٩٩٣م، ج١، ٢٥٧)

أكتب للصغار ..

للعرب الصغار حيث يوجدون

لهم علي اختلاف اللون

و الاعمار.. و العيون

أكتب للذين سوف يولدون

لهم أنا أكتب... للصغار

لأعين ... يركضُ في أحداقها النهار

و من التزاماته ايضاً، انتقاد الكبار و تحميلهم مسؤولية الهزيمة و ضياع البلاد، فهو يصرُ علي التعريض بهم، منذ الأوان، و لايراهم أهلاً لخوض معركة تحرير الأرض المسلوبة، بل يؤكد بأن الصغار هم المستقبل و عليهم ألا ينسوا معاركهم القادمة:  
(المصدر نفسه، ج١، ٣٦٠، ٣٦٣)

ول يذكر الصغار

حكاية الأرض التي ضيعها الكبار

.....

فل يذكر الصغار حيث يوجدون

من وُلدوا منهم .... و من سيولدون

ما قيمة التراب ...

لأن في انتظارهم

معركة التراب.

و إن مايدوا قدر القصيدة السياسية و نشأتها في شعر نزار، قد ارتبط- ولو ظاهرياً-  
بالمرأة أيضاً، و هو يبدأ كتابة القصيدة السياسية بعرض قصة غانية، يهودية ألمانية تدعي  
«راشيل» كانت تدير بيتاً للدعارة في ألمانيا قبل أن تهاجر مع مثالات المجتمعات الغربية  
إلى فلسطين، حيث أصبحت مجنّدة تمارس الإرهاب مع جنود الاحتلال ضد العزل  
هناك، و تبدأ مشاهد المأساة و سفك دماء الأبرياء و تشريدهم عن ديارهم. (المصدر  
نفسه، ج١، ٣٥٨، ٣٥٩)

كان أبوها قدراً من أقدر اليهود

يزور النقود

و هي تدير منزلاً للفحش في براغ

يقصده الجنود

و هو يلح ملتزماً برسالتة في الشعر السياسي الذي يبقي نافذة الأمل مفتوحة أمام  
الصغار، و يستمر بدوره في التنوير من خلال شرح قصة المأساة، و التنوير من خلال ما  
يقدم من مشاهدتها: (قباني، ١٩٩٣م، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦١)

قصة ارهايية مجنّدة

يدعوها راشيل

حلّت محلّ أمي الممدّة

في أرض بيارتنا الخضراء في الخليل

أمي أنا الذبيحة المستشهدّة

أختي التي علّقها اليهود في الأصل

من شعرها الطويل

أختي أنا نوار ..

أختي أنا الهيكلّة الأزار ..

علي ربي الوملة و الجليل ..

أختي التي مازال جرحها الطليل

مازال بانتظار ..

نهار ثار واحد .. نهار ثار

علي يد الصغار، جيل فدايي من الصغار  
يعرف عن نوار ...

ففي كونه تتكمن هذا النص، البداية الحقيقة لاهتمام الشاعر بالقضايا القومية، هذه البداية التي نراها ناضجة تعبر عن صدق المشاعر، و براعة لغة القصيدة السياسية التي بدأت تشكل في شعر نزار، كما هي تكمن في ارتباط هذه البداية بالقضايا القومية، ففي الوقت الذي عجزت فيه القضايا الوطنية، و استطاعت قضية فلسطين بعد سنوات سبع من وقوع الكارثة، أن تحرك تلك المشاعر ليعلن ثورته المبطنة علي الزعماء و القادة و برصد مشاهد المأساة فيشير مشاعر القراء و المخاطبين المعنيين و يحرضهم ضد المحتل. فحينما يحدث العدوان الثلاثي علي مصر عام ١٩٥٦م، يتخذ الشاعر موقعه علي جبهة القتال في السويس ثم بورسعيد، ليصور لنا معارك البطولة العربية المصرية ضد المعتدين الفرنسيين و الأنجليز و اليهود، في قصيدة تحت عنوان «رسالة جندي في جبهة السويس» حيث نري جبهة القتال و نتائج المعركة في أربع رسائل صغيرة، يرسلها جندي مصري في جبهة القتال لأبيه، يخبره فيها عن أيام الحرب الأربعة ففي يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩ م يقول نزار علي لسان ذلك الجندي: (قباني، ١٩٥٦م، ج١، ٤٥٤)

يا والدي

هذي الحروف الثائرة

تأتي إليك من السويس الصابرة

أبي أراها يا أبط، من خندقي،

سفن اللصوص

محشورة عند المضيق

هل عاد قُطَاع الطريق؟

يتسلقون جدارنا ..

و يهددون بقائنا

و بالنيران الملهبة تشتعل قرية عامر بن بولاد الجزائرية في نوفمبر عام ١٩٥٤م ثورة ضد الاحتلال الفرنسي، ثم تعم الثورة جميع الأراضي الجزائرية، و تشارك النساء و الاطفال و الشيوخ فيها و يعلوا اسم جميلة بوجيرد كبطللة شعبية، و رمز من رموز

الحرية و يتحدثُ العالم عن بطولاتها العظيمة و ما تعرضت لها من ألوان القهر و التعذيب ... فتغلي في صدر نزار مراحل العروبة و يهتف مستنكراً ماتلقاه جمالية من صنوف المحن: (المصدر نفسه، ج ١، ٤٥١)

يا ربي هل تحت الكواكب  
يوجد إنسان  
يرضي أن يأكل .. أن يشرب  
من لحم مجاهدة تُصلب

.....

أنثي ... كالشمعة مصلوبة  
القيد يعض علي القدمين  
و سجائر تُطفأ في النهدين  
و دم في الأنف ... و في الشفتين  
و جراح جميلة بوحيرد  
هي و التحرير علي موعد

أيضاً و تصدرُ قصيدة «الحب و البترول» عام ١٩٥٨م؛ لتصدر أشعار نزار السياسية في مرحلة ما قبل النكسة، (جمع نزار قصائده الثلاثة: «رسالة من جندي في جبهه السويس» و «جميلة بوحيرد» و «الحب و البترول» في ديوانه «حييتي» الذي أصدره عام ١٩٦١م، ثم عادوا أدراجها مع القصيدتين «خبز و حشيش و قمر» و «قصة راشيل دوزنبرغ» في مجموعته الموسومة بالأعمال السياسية الكاملة.

فقصيدة الحب و البترول تنطوي علي قدر كبير من النقد اللاذع لبعض الأمراء العرب و مواقفهم السلبية من القضايا العربية الملحة، كقضية فلسطين، و هي قصيدة تشرح الكثير من أسباب هجوم نزار علي بعض الزعامات العربية: (قباني، ١٩٥٨م، ٦٦ و ٦٧)

تمرغ يا امير النفط ... فوق وُحول لذاتك  
كممسحة ... تمرغ في ضلالتك  
لك البترول.. فأعصره على قدمي خيلاتك

كهوف الليل في باريس.. قد قتلت مروءاتك  
على أقدام مومسة هناك..  
دفنت ثاراتك  
فبعت القدس.. بعت الله..  
بعت رماد أمواتك  
كأن حراب إسرائيل لم تجهض شقيقاتك  
و لم تهدم منازلنا.. ولم تحرق مصاحفنا  
ولا راياتها ارتفعت على أشلاء راياتك  
كأن جميع من صلبوا..  
على الأشجار.. في يافا.. وفي حيفا  
و بئر السبع.. ليسوا من سلالاتك  
تغوص القدس في دمها..  
و أنت صريع شهواتك  
تنام.. كأنما المأساة ليست بعض مأساتك  
متى تفهم؟  
متى يستيقظ الإنسان في ذاتك؟

شعر نزار السياسي بعد النكسة:

قصيدة «هوامش علي دفتر النكسة» التي أنشدتها في نكسة الخامس من حزيران ١٩٦٧م اعتبر دارسوه هذه القصيدة بداية تحوله في اهتماماته نحو القضايا القومية، و جعلوها بداية التأريخ للقصيدة السياسية في شعره. (الناقلي، ١٩٨٦م، ٩٦؛ و فهمي، ١٩٧١م، ٢٠٢)

تبدو صحوة نزار بعد تسع من كتابة آخر قصيدة من تلك القصائد السياسية الأربعة، أو إعلانات نزار الدعائية عن خروجه من غرفة نوم المرأة إلي الشاعر السياسي، و صدي قصيدة هوامش الإعلامي، قد طمس معالم قصائده السياسية السابقة، و لقد أخذ أكثر من باحث من قول نزار في مطلع قصيدة هوامش: (قباني، ١٩٦٧م، ٧١-٧٣)  
أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغة القديمة

و الكتب القديمة  
أنعي لكم:  
كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة،  
و مفردات العهر، والهجاء، و الشتيمة  
أنعي لكم..  
أنعي لكم  
نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة  
مالحة في فمنا القصائد  
مالحة ضفائر النساء  
و الليل، و الأستار و المقاعد  
مالحة أماننا الأشياء  
يا وطني الحزين  
حولتني بلحظة  
من شاعر يكتب شعر الحب و الحنين  
لشاعر يكتب بالسكين..

فمن هذا الشعر إتخذ قرينة علي اعلان التحول، و إذعاناً من نزار بأن قد إنتهي،  
عصر النساء و شعر الحب و ممارسته لم تعد مذاقه مستساغاً (بدر، ١٩٨١م، ١١٦)  
فبرر بقوله: «بعدما أكد نزار علي هذا التحول العظيم؛ لم يبق بعد حزيان للشاعر  
سوي حصان واحد يمتطيه هو الغضب ... ولكن أين يبدأ حدود هذا الغضب و أين  
ينتهي؟ صعب علي كثير أن أرسم حدود غضبي فطالما أن هناك ستمتراً واحداً من  
اراضي تحتله اسرائيل، و تذله و تقيم عليه مستعمراتها، فأن غضبي بحر لا ساحل له». (قباني، ١٩٧٠م، ٤١٨ و ٤١٩)

فإنه يقرر أن هزيمة حزيان ١٩٦٧م قد صادرت منابع شعره في المرأه و بهذا المجال،  
السؤال الذي يطرح نفسه بقوة علي الساحة هو: هل أصبح نزار شاعراً سياسياً ملتزماً؟  
و هل يستمر في هذا الإتجاه حتي تحرير الأراضي العربية من الاحتلال الإسرائيلي - كما  
قال-؟ (المصدر نفسه)

إن قصيدة «هوامش علي دفتر النكسة» التي كانت أكثر قوة، جرأة في مواجهات السليبات للواقع العربي من سابقتها، والتي بالضبط أكدت خروجه عن مألوف شعره في المرأة، كما أكدت وقوفه في وجه الفكر والسلوك العربي الذي أدّى إلي الهزيمة.. قد حققت ما يسعى إليه نزار من تجديد دماء القصيدة بالشكل الذي يضمن له استمرارية الذبوع والإنتشار. وقد تيقن نزار من ذلك حينما انتقل مستوي تعاطي هذه القصيدة من المستوي الشعبي إلي الرسمي حيث رأي السلطات العربية تتخذ سلسلة من تدابير لوقف زحفها. (المصدر نفسه، ٤١١ و ٤٣٤)

و عبر من ذلك بنشوة بطولية وهو يصور انتشارها بين آحاد المجتمع بقوله: و لم يعد للموظفين في مكاتبهم الرسمية، و الطلاب الجمعية و للجنود في وحداتهم العسكرية و الشباب الثورية و المتحمسة، من عمل سوي طبع القصيدة بشكل مناشير، و توزيعها علي الباحثين عن الحقيقة و المعذبين في الارض. (المصدر نفسه) كما هو أيضاً يخاطب الزعيم القومي الشهير و الراحل، جمال عبدالناصر لكي يوقف الإجراءات التي تعتزم إستخبارات المصريع إتخاذها، و يشرح أهمية ما يوجد فيها من نقد للذات ... كقوله: «أودعتها خلاصة ألمي و تمزقي، و كشفت فيها عن مناطق الوجع في جسد أمتي العربية، لإقناعي أن ما انتهينا إليه لايعالج بالتواري و الهروب، وإنما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا و سيئاتنا، و إذا كانت صرختي حادة و جارحة، و أنا اعترف سلفاً بأنها كذلك، فلأن الصرخة تكون بحجم الطعنة، و لأن النزيف يكون بمساحة الجرح ... من منا يا سيادة الرئيس لم يصرخ بعد ٥ حزيران؟ من منا لم يחדش السماء بأظافره؟ من منا لم يكره نفسه و ثيابه و خلله علي الارض؟ إن قصيدتي كانت محاولة لإعادة. تقييم أنفسنا كما نحن، بعيداً عن التبجح و المغالاة و الإنفعال ... (المصدر نفسه، ٤٣٦-٤٣٥) و بعد ذلك أدرك نزار طبيعة المرحلة بعدما حققته قصيدته من شهرة و نجاح، و عرف مناطق الإثارة التي هيّجت الوجع العربي الكائن آنذاك، فلهذا راح يعزف علي ذات الوتر، و يحول نقد اللاذع إلي جلد يستهوي الجماهير العربية المألومة و الموجهة و المقهورة، حيث صدر في عام ١٩٦٨م قصيدة «الممثلون» التي يتابع فيها انتقاده السابق للفكر العربي، و سياسة القمع التي تمارسها بعض الأنظمة العربية: (قباني، ١٩٦٨م، ١٠٢-١٠١)

حين يصير الفكر في مدينة

مسطحاً .. كحدوة الحصان  
مدوراً كحدوة الحصان  
تستطيعُ أي بُندقية يرفعها جبان  
أن تسحقَ الإنسان  
حين تصير بلدة بأسرها  
مصيدَةً .. و الناس كالفئران  
و تصبح الجرائد الموجهة  
أوراق نعي تملأ الحيطان  
يموت كل شيء ..  
يموت كل شيء

و أما الملفت للنظر أن قبل أن يتهم نزار بالسادية، فاتهم نزار قباني بالرجسية في شعره الغزلي، و السادية في شعره السياسي، (النابلسي، ١٩٨٦م، ٤٩٠) في جلده للذات العربية، و تعرية الوجد العربي، نراه يبرر أسلوبه بأنه نوع من العلاج الفعال الذي يداوي به جراح الأمة العربية، عندما يقول برسائله للزعيم جمال عبدالناصر: «لم يكن بوسعي أن أقف أمام جسد أمتي المريض، أعالجه بالأدعية و الحجابات و الضراعات. فالذي يحب أمته، يا سيادة الرئيس. يطهر جراحها بالكحول، و يكوي- إذ لزم الأمر- المناطق المصابة بالنار. (قباني، ١٩٧٠م، ٤٣٧) و في هذا الإطار لانتسي أبدأ بأن فلسطين هي سبب الوجد العربي، و هي التي أخرجت نزار من غرفة نوم المرأة غاضباً ثائراً، لذلك لا ينسي جلد الذين أضاعوها، دعاة الوطنية الزائفة: (قباني، ١٩٥٨م، ١١١-١١٢)

كانت فلسطين لكم  
دجاجة، من بيضها الثمين تأكلون  
كانت فلسطين لكم  
قميص عثمان الذي به تتاجرون  
طوبى لكم ..  
فألف تشكرون ..  
على ידיكم أصبحت بلادنا

امرأة مباحة

فألف تشكرون

حرب حزيران انتهت

فكل حرب بعدها، ونحن طيبون

و نري استمرار غضب نزار و ثورته، فيصدر في نفس العام قصيدة «الاستجواب» الذي يكشف فيها الفكر العربي الذي أدى إلي الهزيمة، و يفضح اصحاب الشعارات الزائفة، و يعلن و يشن الحرب عليهم. و من ثم يلتفت في ذلك العام - ١٩٦٨م - لشعراء فلسطين؛ فيصدر قصيدته «شعراء الأرض المحتلة» التي تفتح الأمل ليقف الصمود و الجراءة في مواجهة الخنوع، ليجلد الخائعين من شعراء العربية و يشد أزر شعراء الأرض المحتلة: (المصدر نفسه، ١٥٣-١٥٤)

شعراء الأرض المحتلة

يا أجمل طير يأتينا من ليل الأسر

يا حزناً شفاف العينين،

نقياً مثل صلاة الفجر

نتعلم منكم..

كيف يغني الغارق من أعماق البئر

نتعلم كيف يسير على قدميه القبر

نتعلم كيف يكون الشعر ..

فلدينا قد مات الشعراء .. و مات الشعر

و كما أشرنا سابقاً هكذا يستمر غضبه و ثورته ايضاً، و يحافظ مسؤوليته بما قرره آنفاً في مثل قوله: «الشعر بعد حزيران، يكونه قطعة سلاح أو لا يكون. يكون بندقية، خندقاً.. نعماً.. أو لا يكون» (قباني، ١٩٧٠م، ٤٣٠) و قوله: «كل كلمة لاتأخذ في هذه المرحلة شكل البندقية، تسقط في سلّه المهملات، و تصير علفاً للحيوانات» (المصدر نفسه، ٤٣١)

جاءت إلينا (فتح)

كوردة جميلة من جرح ..

كنبع مكاء بارد يروي صحاري ملح  
وفجأة .. ثرنا علي اكتافنا، وقمنا ...  
وفجأة،  
كالسيد المسيح .. بعد كوتنا نهضنا..

(قباني، ١٩٦٩م، ١٤٠)

فكما تابع العمل الفدائي وشد من أزر الفدائيين، كذلك أمعن النظر إلي حالة  
الوهن العربية، و سر الوقوف علي أسبابها، بين طرق النجاة، و شب النار بسياط نقده  
الزعامات العربية المتخاذلة، و سياساتها القمعية ضد شعوبها .. فكل ذلك و غيره من  
المضامين الثورية نراه تماماً في شعر العامين ٦٨، ٦٩ كقصائده: فتح، القدس، منشورات  
فدائية، إفاده في محكمة الشعر ....

فأتسعت سمعة نزار، حيث استطاع خلال ثلاثة أعوام أن يسجل إسمه بقوة في  
سجل شعراء المقاومة، و أن يبرهن علي أنه من شعراء الالتزام السياسي المخلصين حين  
ما أصدر في السياسة آنذاك، مطولته، منشورات فدائية علي جدران إسرائيل.  
فيبدو أن تصريحاته السابقة- التي سنري مثلها فيما بعد ١٩٧٠م- لاتعدو كونها  
أساليب جذب دعائية، كما رأيناها قبل النكسة بكثير تواكب قصيدته، «خبر و حشيش  
و قمر» (قباني، ١٩٧٠م، ٢٢١) و النكسة، و أيضاً سنراها في عام ١٩٨٢م بعد اجتياح  
بيروت. حين ماقاله بهذا الإطار: لم يعد عندي شهية لتصحيح هذا العالم ... و لم أعد  
متحمساً لمناقشة مصير المنطقة .. أو مصير العرب .. (قباني، ١٩٨٣م، ج٢، ٩٥) ثم سنراه  
بعد ذلك يعود و يعلن حالة الملل من المرأة» (قباني، ١٩٨٧م، ١٤٩)

أريد الخروج من القن  
حيث الدجاجات  
ليس يفرقن بين الصباح و المساء  
أريد الخروج من القن  
أن الدجاجات مزقن ثوبي  
و حللن لحمي  
كرهت الإقامة في جوف هذي الزجاجة

كرهت كتابة شعري علي جلد الغايات  
كرهت التسلق كل صباح و كل مساء  
إلي قمة الحلمات

و من المسلم أن بعد استقراء نتاج نزار الشعري، فالهم السياسي العربي، و الالتزام  
تجاه القضية الفلسطينية علي وجه الخاص، قد جلس علي عرش شعره بعد عام ١٩٦٧م  
إلي جانب المرأة التي لم يهجرها نزار في أي وقت. (المصدر نفسه، ٣٨)  
فلو تتبعنا شعره السياسي سنراه يفيض بروح شعر الصمود و المقاومة و سماته  
شاملاً، شعرٌ يثير الحماس في نفوس المقهورين، و يشدُّ من أزرهم و يدعم صمودهم..  
فأنه لم يتخلَّ أبداً عن هذه الروح الجياشة حتي وفاته، الم نره متحمساً حيث فاضت  
قصائده ثورة و تأييداً و تبشيراً بنصر قريب، كقوله: (قباني، ١٩٨٨م، ٣٨)  
أمطرنا..

بطولة، و شموخاً  
و أغسلونا من قبحنا  
و أغسلونا من قبحنا  
أغسلونا..

لاتخافوا موسي  
و لاسحر موسي ..  
و استعدوا  
لتقطفوا الزيتون  
إن هذا العصر اليهودي  
و هم ..  
سوف ينهار ..  
لو ملكنا اليقين

و عندما يعتز نزار بعروبتة و قد كرّر ذلك أكثر من مرة نري في قصيدة يفخر  
بالأعراب قائلاً: (قباني، ١٩٨٦م، ٤١)  
يا أصدقائي:

أنتم الشعر الحقيقي  
ولا يهم أن يضحك .. أو يعبس ..  
أو أن يغضب السلطان ..  
أنتم سلاطيني ..  
و منكم أستمّد المجدّ والقوة، و السلطان.  
و يتابع كلام الذي كان مؤمناً به: «يبقي الجمهور ثروتي القومية .. ولو أنني غامرت  
بهذا الرصيد العظيم.. أعلنت محكمة الشعر إفلاسي.. و ختمت قصائدي بالشمع  
الأحمر» (جريدة القدس، الجمعة ١٩٩٨/٥/١م، ١٢)  
عندما قام حوار بين نزار و الأستاذ عبده وازن و سئل من نزار، يبرز لديك حبّ  
جمهورك، و كانك حين تكتب لاتغلق علي نفسك بل تفكر قليلاً أو كثيراً «لست  
أدري» بجمهورك الذي يوزع قصائدك كالحبّز.. ما رأيك؟  
فيقول نزار: أنا جزء من الوجد العام و سمكة من الأسماك التي تعوم في البحر من  
الاسئلة .. الزلزال السياسية و الاجتماعية، و القلق العربي العام.  
الورقة التي اكتب عليها ليست ورقة بيضاء ..  
ولكنّها ورقة ترسم عليها ملايين العيون العربية ..

(قباني، ١٩٨٨م، ٥٥٩)

فكيف تريدني أن أهرب من هذه العيون، و هي تسبح في دورتي الدموية؟ أنني  
لا أكتب كي استرضي، أو أجامل، أو اطلب مرضاة الشارع العام ... فضوضاء الشارع  
العام تخرج من داخلي.. و البكاء العام يطر من عيوني .. و القلق العام هو جزء من  
قلقي ... و بعبارة أخرى، ليس هناك أوامر خارجية انصاع لها.. و ليس هناك سلطة في  
العام تستطيع أن تجبرني علي كتابة قصيدة لأريد كتابتها .. كل شيء يحدث علي ورقة  
الكتابة بشكل تلقائي ... و كل قصائدي تنفجر دون تخطيط مسبق ... إنني في الشعر  
لا أكتب علي طريقة (ما يطلبه المستمعون) ... و لاشتغل مضارباً في بورصة الشعر .. و  
لأفضل قصائدي حسب متطلبات السوق ... أنا جزء من حركة التاريخ السياسي و  
القومي و العاطفي في هذه المنطقة و من مسؤولياتي كشاعر أن أغطي بشعري هموم  
البشر، و حركه التاريخ، و ألا تحوّل إلي متسول شعر ....

كما نري يشير نزار إلي مشاعره الصادقة و التزامه من ناحية كتابة الشعر في مجالاته المعينة سيما السياسة و التاريخ الجاري و إيمانه من خلال عواطفه الجياشة نحو الشعب و المجتمع العربي و الإنساني و مسؤوليته كإنسان مثقف ملتزم بالمبادئ التي اورثها من قوميته و اعتقاداتها الدينية.

فعلي سبيل المثال حين يصدر قصيدة «الوصية» و التي ينتقد فيها سلوك حكام الخليج العربي و ممارستهم .. و إنصرافهم عن قضايا الأمة العربية: (المصدر نفسه، ٢٥٧، ٢٥٨)

أخرج إلي الشاعر يا أميرنا..

و اقرأ .. ولو صفيحة يومية ..

اقرأ ..

عن السويس، و الأردن، و الجولان،

و المدائن السبية ..

عن الذين يعبرون النهر نحو الضفة الغربية

هل يا طويل العمر .. في بلاطكم

خريطة صغيرة .. للضفة العربية؟

و تبقي ملامح شعره السياسي كما اتضح في ديوان «قصائد مغضوب عليها» حتي حينما يقول في العام ١٩٩٠م؛ «في السنوات الأخيرة اصبحت أحفر الورق بأضافري حين أكتب، اصبحت عصياً و حارقاً و جارحاً.. نسيت مهنة الدبلوماسية التي زاولتها عشرين عاماً.. (قباني، ١٩٩٢م، ٣٤)

فلا يضيف جديداً كما كان سابقاً و متحمساً بكل جديد يجلب المخاطبين من شعره سيما الغزلي، لأن فعله قد سبق قراره؛ و قراره هذا مسبوق بقرارات عديدة مشابهة ايضاً و كذلك قوله:

في العام نفسه - ١٩٩٠م - (قباني، ١٩٩٠م، ١٩٠)

وطن بلا وطن ..

و شعبٌ دون ذاكرة

و أحرارٌ يسيرهم إماء ..

إننا لنذبح كالنعا ج ..

كأنما .. دمنا، لدي الحكام ماء ..  
و أما قول جهاد فاضل و شاكر النابلسي، بخلو شعر نزار السياسي من سمات شعر  
المقاومة التي أهمها تخطي الآلام. و التبشير بالمستقبل و إشاعة روح التفاؤل ﴿(فاضل،  
١٩٨٩م، ٢٣؛ والنابلسي، ١٩٨٦م، ٥١٢)﴾ فهذا الأمر طبعاً يدحضه واقع شعر نزار  
السياسي، و الأدلة علي ذلك في شعره أكثر من أن تعد و تحصى، و علي سبيل المثال:  
في قصيدته «فتح» نراه يتوعد اليهود، و ييشر العرب بفجر الحرية: (قباني، ١٩٦٩م،  
١٤٣)

يا فتح يا شاطئنا من بعدما فقدنا ..  
يا شمس نصف الليل لاحت ..  
بعدهما ضجرتنا  
يا رعدة الربيع فينا ..  
بعد ما يبسنا ..  
حين قرأنا عنكم كل الذي قرأنا ..  
خمسین قرناً بكم كبرنا ..  
و أرتفعت قاماتنا ..  
و أزهرت حياتنا ..  
من بعدما نشفنا

و في قصيدة «القدس» ايضاً يعن النظر الي ما أصاب النفس العربية من يأس نتيجة  
لممارسة المحتل الجائر و صمت العرب آنذاك، فيقوم بمداوي الجرح النفسي و تضييده و  
يشيع روح الأمل بجميع دوافعه و ييشر بالمستقبل الذي سوف تحرر فيه الأرض: (المصدر  
نفسه، ١٦٤)

يا قدس... يا مدينتي  
يا قدس .. يا حبيبتني  
غداً.. غداً.. سيزهر الليمون  
و تفرح السنابل الخضراء و الغصون  
و تضحك العيون  
و ترجع الحمايم المهاجرة  
إلى السقوف الطاهرة  
و يرجع الأطفال يلعبون  
و يلتقي الأباء و البنون

على ربك الزاهرة  
يا بلدي.. يا بلد السلام و الزيتون

#### النتائج:

و في نهاية مشوارنا الخاطف هذا نري شواهداً كثيرة في عصرنا، لمحاولات نزار السياسة الراقية التي زرع الأمل و الدافع في مجتمع كاد أن يرسب به الأمل عقب الأمراء الخونة التي لم تحرك ساكناً في مجتمعاتهم العربية لكي تحكم عليها عائلياً لنيل أهدافهم السخيفة و الإنسانية التي لايرضي بها الله و الضمير الواعي ففعل ما فعل نزار و رفع القناع من الوجوه المنافقه في تلك المجتمعات العربية و أخذ دوره الراقى من التوعية حتي اليوم و جعل الباحثون و الدارسون يكثرون من دراستهم نحو شعره في مجاليين المرأة و السياسة و اعترافهم بحداثة لغاته المستعملة من خلال شعره و مواضيعه العصرية و أصبح نزار الضمير الواعي للأزمة العربية الحية و ندائها الواضح و صراخها المتواصل .. و عبر عن صميم المشاعر و ارتبط بالوجدان العربي المناهض حتي أصبح بطلاً و رمزاً بالثورات الجارية و الربيع العربي الحديث و إن صح القول.

#### قائمة المصادر والمراجع

- بدر ، عبدالمحسن طه بدر، حول الأديب والواقع ، ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨١م.
- جريدة القدس ، ١٩٩٨م ، ١٢.
- فاضل ، جهاد ، أسئلة الشعر، حوارات مع الشعراء العرب ، الدار العربية للكتاب ، ط١، بيروت ، (بدون تا).
- فتاتي شاعر، دار الشروق ، ط١، بيروت ، ١٩٨٩م.
- فهمي ، ماهر حسن ، نزار قباني و عمر ابن ابي ربيعه ، دراسة في فن الموازنه ، دار نهضة مصر، ١٩٧١م.
- قباني، نزار، الأعمال السرياسية الكاملة، الجزء السادس، منشورات نزار قباني، ط٢، بيروت، ١٩٩٩م.
- \_\_\_\_\_ ، \_\_\_\_\_ ، الجزء الثالث ، \_\_\_\_\_ ، ط ٤ ، \_\_\_\_\_ ، ١٩٨٦م.
- \_\_\_\_\_ ، \_\_\_\_\_ ، الجزء الأول ، \_\_\_\_\_ ، ط ١٣ ، \_\_\_\_\_ ، ١٩٩٣م.
- \_\_\_\_\_ ، \_\_\_\_\_ ، الجزء الثاني ، \_\_\_\_\_ ، ط ٧ ، \_\_\_\_\_ ، ١٩٩٣م.
- \_\_\_\_\_ ، \_\_\_\_\_ ، الجزء السابع ، \_\_\_\_\_ ، ط ١ ، \_\_\_\_\_ ، ١٩٩٣م.
- \_\_\_\_\_ ، \_\_\_\_\_ ، الجزء الثامن ، \_\_\_\_\_ ، ط \_\_\_\_\_ ، ١٩٩٣م.
- النابلسي ، شاكراً ، الضوء و اللعبة ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ١٩٨٦م.